الكتاب الثاني

حقوق النساء في الإسلام

تأليف: الشيخ / محمد رشيد رضا

تحليل وعرض أ.د. سليمان عبد الدايم الخطيب

في إطار حالة التدهور التي تحياها الأمة، انحرف العديد من المسلمين عن تعاليم دينهم في معاملة النساء، وشاعت بينهم روايات تروج لإقصاء المرأة عن الفعالية والمشاركة الاجتماعية، كما شاعت بينهم الأحاديث الموضوعة، انتهت به المرأة المسلمة إلى الجهل الطامس والغفلة البعيدة عن الدين.

شاع أن تعليم المرأة معصية، وذهابها إلى المسجد محظورًا وأضحى اطلاعها على شؤون المسلمين، أو انشغالها بحاضرهم ومستقبلهم شيئًا لا يخطر ببال، وكان إزدراء الأنوثة خلقًا شائعًا، والسطو على حقوقها المادية والأدبية هو العرف المستقر.

وأكثر من ذلك أنهم وضعوا على كاهل المرأة وحدها عبء، الشقاء الذي عانته وتعانيه البشرية منذ خلق آدم إلى قيام الساعة.

لقد ساء التصور بشخصية المرأة وبدورها، وساء- تبعًا لذلك سلوكهم في معاملتها، وتعدوا حدود الله في ذلك فظلموا أنفسهم، وظلموها، وخصوصًا في عصور التخلف التي بعدت الأمة فيها- إلا من رحم ربك- عن هدي النبوة، ووسطية الإسلام، ومنهج السلف، الذي يتميز باليسر والاعتدال وقضية المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية، مثل بارز يجسد موقفي الغلو والتقصير، أو الإفراط والتفريط.

ومن الحق أن يقال: أن كثيرًا من تطرف المغالين المقلدين للغرب، كان رد فعل للتطرف من المغالين المقلدين للشرق، والتطرف لا ينتج إلا تطرفًا مثله، والله لم يكلفنا أن نكون تبعًا لغرب ولا شرق، ولا أسري لقديم أو حديث، إنما يجب أن

يكون هوانا تبعًا لما جاء به محمد ﷺ، من الهدي ودين الحق.

وفي واقعنا المعاصر، ينظر إلى المرأة في الغرب- بجانب كافة العوامل الإيجابية في وضعها الاجتماعي- إلا أنها تمارس الحرية بصورة متطرفة، حيث لا تراعي القيم الدينية والأخلاقية في علاقة الرجل بالمرأة في كثير من الممارسات، وتم ذلك في ظل انتشار تجارة الجنس على المستوي التجاري أو على المستوي الشخصي، بالإضافة إلى انتشار كل صيحات العري والإباحية، وانتشار المخدرات، وانعدام الدفء الأسري في ظل الحرية المدعاة، وتنامي ظاهرة الطفل الغير شرعي، إلى غير ذلك من الممارسات والسلوكيات المنحرفة في المحيط الغربي.

ولا نستطيع أن ننكر أن رياح الانحلال الأخلاقي، لم تقتصر على البيئة الغربية، لكنها اجتاحت البيئات الشرقية ذات الإرث الديني، لأسباب متعددة يضيق المجال لذكرها والحديث عنها، مع التأكيد على الفارق النسبي بين العالمين الإسلامي والغربي في مثل هذه الأمور.

والتيار العلماني والاتجاهات التغريبية في واقعنا العربي والإسلامي، ومن خلال سيطرتها على معظم الوسائل الإعلانية، يشيع ويروج لكثير من الافتراءات حول حقيقة موقف الإسلام من حقوق المرأة في الإسلام، حيث الادعاء بسلبها حريتها وحقوقها المالية ومكوثها ببيتها دون فعالية، وأنها لم تمنح الحق في التعليم والقيادة، ويصورونها على أنها مجرد خادمة أو جارية عند الرجال، ولا نصيب لها من حق الحرية والكرامة واحترام النفس.

ويأتي كتاب حقوق النساء في الإسلام «للشيخ العالم السيد محمد رشيد رضا»، ليميط اللثام عن هذه القضية، في محاولة أنهم مجموعة من سماسرة الغزو الثقافي والعمالة الفكرية والأخلاقية، التي تسعي إلى تشويه صورة الموقف الإسلامي حول الموقف من المرأة.

فمن هو الشيخ «محمد رشيد رضا»؟.

سيرته وحياته:ـ

ولد محمد رشيد رضا في قرية من قرى لبنان تسمى القلمون، في ٢٧/ جمادى الأولى/ ١٢٨٢هـ، ١٨٦٥م، وهو سليل بيت عربي عريق ينحدر من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب، اشتهر بيت آل الرضا بأنهم كانوا المثل الأعلى في الانقطاع للعبادة وتكريم العلماء والترحيب بأولي الفضل.

كان أبوه قوي الذاكرة، طلق اللسان، ومن قوة ذاكرته أنه كان يحفظ كل ما مر به في سفره، وكل ماله عند الناس، أو لهم عنده من الحقوق المالية وإن طال عليها الزمن، وكان حسن المجاملة، عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الإسلام والمناضلة عنه بما يقنع المناظر ولا يؤذيه، كما كان يتمتع بهيبة في نفوس أبنائه، حيث لجأ إلى الحزم والترهيب أحيانًا في التربية، ولقيت هذه التربية استجابة من نفس محمد رشيد رضا، وورث عنه الكثير من الخصال الخلقية والعلمية.

التحق محمد رشيد بكتاب القرية، وتعلم فيها القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب، ثم التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية التي أنشأها أحد علماء الشام الشيخ محمد حسين الجسر (وهو أحد رواد النهضة الثقافية والعربية، والذي اشتهر بإلمامه الواسع بالعلوم العصرية، وكان كاتبًا وشاعرًا عصريًا، درس في الأزهر الشريف على يد الأديب الكبير محمد حسين المرصفي) حيث اهتمت هذه المدرسة بالعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، لكن الحكومة أغلقت هذه المدرسة، فانتقل محمد رشيد إلى المدارس الدينية في طرابلس، وظل على علاقة قوية بأستاذه الأول حسين الجسر الذي أحبه وتأثر به لما خصه به من الاهتمام والعناية منذ شاهده في السنة الأولى بالمدرسة الوطنية، لما كان يجد عنده من حب شديد للدراسة والمذاكرة والقدرة على التعبير عما يفهم، حتى صار يطلب رأيه في

مؤلفاته خاصة الكبرى منها.

نـال محمـد رشـيد الإجـازة في دراسـة العلـوم العربيـة والـشرعية والعقليـة عام١٨٩٧،على يدي أساتذة كبار منهم الشيخ محمود نشابة من كبار علماء طرابلس، والشيخ عبد الغني الرافعي، والشيخ محمد القاوقجي، لكن بقي الشيخ الأكبر أثرًا في نفس محمد رشيد هو أستاذه الشيخ الجسر.

وصف أحد العلماء محمد رشيد في مرحلة تلقيه العلم وما أفاده من دراسته، بأن علمه لدني أي (من لدن حكيم عليم)، فيقـول إني أغيـب عنـه سنة فأجـد عنـده مـن العلم ما لا يمكن اكتسابه إلا في السنين الطوال.

عني محمد رشيد رضا بحفظ القرآن الكريم وحده دون أي معلم يعيد عليـه مـا يحفظ، وكان يفضل صلاة التهجد تحت الأشجار في بساتينهم الخالية، حيث وجد في البكاء من خشية الله، وتدبر كتاب الله في صلاة الليل لذة روحيـة قويـة، وقـرأ كتـاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي وتعلـق بـه، وحبـب إليـه التـصوف، وهـو في هذه السن المبكرة من الشباب، فسلك محمد رشيد طريقه إلى التصوف على يد رجـل من النقشبندية، لكنه استطاع أن يقف على أسرار هذه الرياضـة الروحيـة بمحاسـنها ومساوئها، وهو الأمر الـذي هيـأه في المستقبل للمنـاداة بإصـلاح الطـرق الـصوفية، حيث وجد بعضها طيبًا والآخر لا يقبله العقل، بل يكـون أحيانًـا مـدخلًا إلى البـدع ومثارًا إلى الفتن.

ألقى رشيد المـواعظ والـدروس في المسجد معتمـدًا فيهـا عـلى جمـع أكـبر عـدد ممكن من الآيات في الموضوع الواحد، حتى صار لمواعظه أعظم الأثر، وأشـد الوقـع في النفوس، واختار من كتب التفاسير أيسرها، على حين قام هو نفسه بـدور كبـير في شرح الآيات القرآنية واستخلاص العبر التي تفيد جمهور المستمعين منها، واسـتطاع في تلك الأيام الأولى من جهاده في سبيل الإصلاح أن يثبت قدرته على الاجتهـاد في

الفقه، الذي اعتبره مرتبة عالية من مراتب العلم الاستقلالي بالأحكام الشرعية، وأنه هام وحيوي لإرشاد الناس لما فيه من الخير والهداية.

في الوقت الذي دخل فيه محمد رشيد ميدان الإصلاح في قريته بدافع من ميوله الفطرية وقدراته العلمية، كانت أنظار العالمين والعربي والإسلامي قد اتجهت نحو مصر، حيث انطلقت منها حركة إصلاحية كبرى تولى زعامتها اثنان من خيرة علماء الشرق وأبطاله وهما: السيد جمال الدين الأفغاني، والأستاذ الإمام محمد عبده، وترامت أنباء هذه الحركة إلى مسامع محمد رشيد عن طريق الجماعة المصرية التي أقامت في منزل والد رشيد عند نفيهم من مصر، لاشتراكهم في ثورة أحمد عرابي على الخديوي توفيق. وكانت تصل إلى هذه الجماعة المصرية جريدة العروة الوثقى سرًا، وهي الجريدة التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بعد نفيهما من مصر، واجتماعهما في فرنسا.

قوي اتصال محمد رشيد رضا بجريدة العروة الوثقى، التي وجهته للسعي في الإصلاح الإسلامي العام، ورسمت له منهجًا علميًا جديدًا للإصلاح بعد أن عرفته بأسباب الفساد والتفكك في بلاد الشرق، وفتحت له آفاقًا واسعة لم يكن يعرف عنها شيئا ودفعت به إلى الطريق الطويل الذي سلكه كبار المصلحين وقادة التحرير.

استطاع رشيد رضا أن يتصل بجمال الدين الأفغاني الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق السياسة، وكذلك اتصل بمحمد عبده الذي نادى بالإصلاح والتجديد عن طريق التربية والتعليم، وخرج رشيد بعد تعرفه على منهجي أستاذيه بمنهج خاص جعله يمزج بين المنهجين السابقين.

في ظل الأحداث التي وقعت في سورية، والتي حدت من انطلاقة رشيد رضا في الإصلاح بسبب تشدد الولاة العثمانيين. أخذ رشيد يتطلع إلى الهجرة نحو مصر.

وهناك في أرض مصر، استقر العزم به على إنشاء صحيفة إصلاحية

عام١٨٩٨، أسماها المنار وجعلها منبرًا لبث أفكاره في الإصلاح الديني والاجتماعي والإيقاظ العلمي والسياسي، وكان يحرص على عرض كل ما يكتبه من مقالات على الإمام محمد عبده، ويستمع إلى توجيهاته وإرشاده، وظل قلم رشيد رضا يصول في المنار ويجول مرشدًا المسلمين إلى النظر في سوء حالهم، وتذكيرهم بما فقدوه من سيادة الدنيا وهداية الدين، وما أضاعوه من مجد آبائهم الأولين، فنادى بأن يعلموا أن قيمة الدين ليست في أسراره الروحانية أو قواه الخفية، بل في الحقيقة التي يعلمها للإنسانية، وهي أن سعادة المرء في هذه الحياة والحياة الأخرى تتوقف على معرفته بسنن الله التي تضبط هداية البشر أفرادًا وجماعات، وعلى المسلمين أن يدرسوا هذه السنن ثم يسيروا عليها في يقين وإيمان.

ونادى رشيد رضا في المنار بإصلاح التربية والتعليم، وبإنشاء المدارس الإسلامية ونبذ المدارس التبشيرية التي أكثر المستعمر منها في البلاد الإسلامية، ودعا إلى وجوب إدخال علوم أساسية في ميدان التربية والتعليم، مثل علوم أصول الدين وعلوم تهذيب الأخلاق، وعلوم فقه الحلال والحرام، وعلوم الاجتماع، وعلم تقويم البلدان، وعلم التاريخ وعلم الاقتصاد، والتدبير المنزلي والحساب، وعلم حفظ الصحة، وعلم فن الخط وعلم لغة البلاد... لما في هذه العلوم من خير للناس في حياتهم العامة والخاصة.

أنشأ رشيد رضا دار الدعوة والإرشاد لتخرج المرشدين والدعاة، وذلك في ظل انتشار المدارس التبشيرية في البلاد الإسلامية، ودعوة المسلمين للتخلي عن دينهم واعتناقهم الدين المسيحي، وتابع رشيد رضا الإشراف على مدرسته بما يفرغ فيها من جهده وجهاده ما يستطيع، لكن تعطلت هذه المدرسة عند نشوب الحرب العالمية الأولى، ولم تفتح أبوابها مرة أخرى.

دخل رشيد رضا ميدان السياسة، وعمل على نقد الدولة العثمانية والاشتراك

عمليًا في محاولات إصلاح الأوضاع فيها، وترأس (جمعية الشورى العثمانية) المؤلفة من العثمانيين المنفيين إلى مصر، حيث كانت هذه الجمعية ترسل منشوراتها السرية إلى سائر أرجاء البلاد العثمانية حتى أقلقت مضاجع السلطان. كما أخذ رشيد رضا في مجلته المنار يهاجم استبداد الدولة، وكشف عن قدرة فريدة في فهم الأوضاع التي أحاطت بالدولة العثمانية والبلاد العربية.

بعد الثورة العربية الكبرى وهزيمة الأتراك، تم الاتفاق بين إنجلترا وفرنسا على اقتسام الوطن العربي... وهذا ما سبق ونبه إليه رشيد رضا في مجلته المنار، كما حذر الزعماء العرب من الوقوع في حبائل الوعود البراقة والأماني الخادعة من فرنسا وبريطانيا، مما جعله يشرع بإرسال كتب إلى رؤساء وزارتي إنجلترا وفرنسا ينصحهم بالابتعاد عن المساس بحقوق العرب والغدر بهم، كما أتيحت له فرصة ذهبية لينديد بالاستعمار وأعماله في البلاد العربية حين قرر قادة العرب عقد مؤتمر في جنيف للدفاع عن القضايا العربية، ووقع الاختيار على رشيد رضا ليكون نائبًا لرئيس هذا المؤتمر، حيث أسهم بقسط وافر من تجاربه وآرائه القيمة في وضع نداء للمجتمع الدولي وعصبة الأمم المتحدة للنظر في الحقوق العربية.

كما اشتهر رشيد رضا بالشدة في الحق والصدق في الحديث بكل ما يدلي به من آرائه، حين كان على رأس الوفد السوري الفلسطيني المبعوث إلى الأمم المتحدة لشرح القضايا العربية وكسب تأييدهم، وأكد لهم أن الشرق قد استيقظ وعرف نفسه ولن يرضى بعد اليوم أن تكون شعوبه ذليلة مستعبدة للطامعين المستعمرين.

ظل رشيد رضا يتابع رسالته في المنار بالدفاع عن الأمة العربية والأخذ بيدها، وتنبيه أبناء الأمة العربية إلى خطر الصهيونية، وإلى تبنى الاستعمار لها، ليجعل منها وسيلة لتحقيق مآربه في تحطيم وحدة الوطن العربي، ونادى في مقالاته بعد أن اشتد خطر الاستعمار والصهيونية، على ضرورة جمع كلمة العرب، وظل هكذا حاملًا لواء

الجهاد في سبيل الإسلام والعروبة إلى أن انتقل إلى الملأ الأعلى في يوم٢٢-٨-١٩٣٥، تاركًا وراءه تراثًا كبيرًا من الأعمال العلمية نذكر منها:-

١- مؤلفه الأول الذي دونه أثناء طلبه للعلم في الشام «الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية».

٢- مجلة المنار: وهي المعلمة الإسلامية الكبرى، والكنز الذي احتوى ثمار تجارب رشيد رضا وآرائه في الإصلاح الديني والسياسي.

٣- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وما جرى بمصر في عصره.

٤- حقوق النساء في الإسلام.

٥- الوحي المحمدي.

٦- المنار والأزهر.

٧- ذكر المولد النبوي.

٨- الوحدة الإسلامية.

٩- يسر الإسلام وأصول التشريع العام.

١٠- الخلافة أو الإمامة العظمى.

١١- الوهابيون والحجازيون.

١٢- السنة والشيعة.

١٣- مناسك الحج، أحكامه وحكمه.

١٤- تفسير القرآن الكريم، المعروف بتفسير المنار.

١٥- حقيقة الربا.

١٦- مساواة الرجل بالمرأة.

openkan.com

١٧- رسالة في حجة الإسلام الغزالي.

١٨- المقصورة الرشيدية.

وهو يبدأ كتابه بالتأكيد على التكامل بين الرجل والمرأة، في الخطاب الإسلامي، حيث يري ثبات المساواة في الحقوق والأحكام بين أجناسهم، وأفراد رجالهم ونسائهم على اختلاف عروقهم وألوانهم، وبقاعهم وأقطارهم، ومنع التمايز بين الطبقات والعشائر بالأنساب والتقاليد العرفية أو الوراثية وتحقيق التوحيد بينهم في جميع المقومات الإنسانية، والأخوة الروحية، والتفاضل بالفضائل النفسية، من علمية وعملية فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

حال النساء في العالم قبل البعثة النبوية: يري الشيخ أن المرأة كانت تباع وتشتري، كالبهيمة والمتاع، وكانت تكره على الزواج وعلى البقاء، وكانت تورث، وكانت تملك ولا تملك، وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بما لها من دونها، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق في قتل ابنته بل وفي وأدها «دفنها حية» أيضًا، وكان منهم من يري أن لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية.

واستنادًا إلى الآية الكريمة: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

تضمنت الآية الكريمة السكون النفسي الجنسي الذي يتحد به الزوجان فيكونان حقيقة واحدة كالماء والهواء، والمودة التي تتعدى الزوجين إلى أسرتيهما فيسري بها الحب والتعاون من الأقارب إلى البعداء والرحمة التي تكمل لهما بالولد المنفصل منهما الممثل لهما فينتشر التراحم بين الأحياء.

وقد كان للنساء نصيب كبير من تعاليم الإسلام ووصاياه في حق المرأة، وهو ما

فضله الرسول ﷺ، وفي هذا الصدد يحاول الشيخ إبراز وبيان أوجه الحقوق التي جاء بها الإسلام بخصوص المرأة.

المرأة إنسان هي شقيقة الرجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

***إيمان النساء كالرجال:**

من المتفق عليه والمعلوم من دين الإسلام، أن على النساء ما على الرجال من أركان الإسلام وتشريعاته، كما في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠].

ولعل ما سبق يؤكد عكس ما يروجه أعداء الإسلام من أدعاء حول الإسلام في كونه يفرق بين الرجل والمرأة في جميع النواحي على أن الإسلام يشرع للمجتمع الذكوري دون الأنثوي.

*** جزاء المؤمنات في الآخرة كالمؤمنين:**

وهذا يعني أن المرأة مكلفة مثل الرجل، وبالتالي تفرض عليها المسئولية الأخلاقية والسلوكية، ومن ثم يأتي الجزاء الأخروي كتعبير عن رفض خلق الفوارق بين الرجل والمرأة في ساحة التكليف التي يترتب عليها الجزاء، يقول الله - تعالى - : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

***مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية والأعمال الاجتماعية والسياسية:-**

وقد فصلتها الآية الكريمة: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

*** أمانة المرأة للحربيين:-**

ومن حقوق المرأة السياسية في الإسلام أنها إذا أجارت أو أمّنت أحدا من الأعداء المحاربين نفذ ذلك، فقد قالت أم هانئ للنبي ﷺ يوم فتح مكة: إنني أجرت رجلين من أحمائي. فقال ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**». وهذا الحديث صحيح متفق عليه. وفي بعض الروايات أنها أجارت رجلا فأراد أخوها علي كرم الله وجهه قتله فشكته إلى النبي ﷺ فأشكاها وأجاز جوارها. وفي الحديث (أن المرأة لتأخذ للقوم)

*** أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر:-**

سواء بالقول أو بالكتابة، وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به.

ويدخل في الأمر بالمعروف ونهيها عن المنكر، الانتقاد بكلمة الحق للحاكم نفسه، وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيما يتعلق بمسألة المهور، حتى قال قولته الشهيرة: «امرأة أصابت وأخطأ عمر»، وصعد المنبر، وأعلن رجوعه عن قوله، وبالرغم من كل ما وصلت إليه المرأة في واقعنا المعاصر، فهل وصلت إلى هذه الممارسة المتعلقة بالحق في نقد الحاكم، ثم تراجع الحاكم نفسه وإعلانه لذلك التراجع.

*** وحول حقوق النساء في التعليم والتأديب:-**

لقد أرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ في الأميين ليخرجهم من الأمية، فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ومكانه العلم في الإسلام لم تكن مجرد آيات تتلى، وإنما طبقها العقل المسلم وأحرز من الانجازات العلمية في كافة الميادين ما اعترف به القاصي والداني، وشكل بواكير النهضة والإحياء في الحضارة الغرب،

وذلك بفضل علماء الإسلام وإضافاتهم.

وحديث: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» يشمل المسلمات باتفاق علماء الإسلام.

وهذا الحق نتساءل ما هو نصيب الأمة الإسلامية من العلم وإنجازاته، في ظل الفوارق الفادحة بيننا وبين الغرب في ميادين العلم على اختلافها وتعددها.

*** حقوق النساء المالية:-**

لقد شرع الإسلام للمرأة ما كان محرمًا عليها في العصور الخوالي، فأثبت لهم كالرجال حق الملكية، وشرع الوصية والإرث، وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك.

ويضيق المجال لنذكر كون المرأة الغربية لم تصل إلى ما وصلت إليه المرأة المسلمة في مجال الحقوق المالية.

*** وفيما يتعلق بحق المرأة في الميراث:-**

لقد ظلمت المرأة كثيرًا في هذا المجال، حيث منعت المرأة من الإرث بعكس الرجل، حيث شرع الإسلام حقها ذلك بوضوح فيقول – تعالى - : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

ثم بين نصيب كل وارث من الرجال والنساء في آيات المواريث من هذه السورة، وهي مبنية على قاعدة: «للذكر مثل حظ الأنثيين».

*** وحول مهر الزواج:-**

في الوقت الذي تفرض الشريعة اليهودية مهرًا للمرأة، لكنها لا تمكن بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقها، لأن ليس لها أن تتصرف بمالها وهي متزوجة.

obeikan.com

في هذا الصدد فقد فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضًا حتمًا وحرم عليه أن يأخذ منه شيئًا بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال – تعالى – : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٧].

والذي ينبغي أن يلاحظ أن هذا العطاء آية من آيات المحبة، وصلة القربى وتوثيق عري المودة والرحمة، وهو واجب شرعي لا تخيير منه.

*** وحول ولاية النكاح:-**

فقد جمع الإسلام بين جعل حق التزويج لولى المرأة، وحق المرأة في قبول من ترضاه من الأزواج، ورد من لا ترضاه.

*** المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن:-**

لقد شرع الإسلام قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمرًا واحدًا عبر عنه الإسلام في قوله – تعالى – : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣٤].

والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو مطالب شرعًا بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف.

ويري الشيخ أن اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضي الفطرة، والإسلام دين الفطرة.

ومن حقوق المرأة في الإسلام، أن رياسة الرجل في البيت شورية لا استبدادية، وذلك حتى يعرف العديد من الرجال في واقعنا النتائج الوضعية والتداعيات الأليمة لاستبداد الرجل تحكمه بدون وازع من شرع أو دين، يقول – تعالى – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ١٩]، وفي الحديث: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» رواه الترمذي.

ونحن لسنا في حاجة إلى بيان الحصاد المرير الذي جنته أوروبا من مقولة «المساواة بين الجنسين»، والتي ينادي بها أذناب الغزو الثقافي في واقعنا العربي والإسلامي. وظائف الرجال والنساء وأعمالهم: يقول – تعالى – : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ [النساء: ٣٢]. فالله – تعالى – كلف كلًا من الرجال والنساء أعمالًا فما كان خاصًا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء، وما كان خاصًا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال، وليس لأحد أن يتمني ما هو مختص بالآخر.

*** وحول تعدد الزوجات:-**

يري الشيخ أن الإسلام لم يحرم تعدد الزوجات تحريمًا مطلقًا، ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الإسراف في التعدد وفي ظلم النساء، بل قيده بالعدد الذي قد تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع، واشترط فيه العدل بين الزوجين أو الأزواج لمنع ما كان من ظلم النساء بقدر الاستطاعة، وهو ما قد يقضى بالمتدين بالإسلام إلى الاقتصار على زوجة واحدة إلا لضرورة يقول – تعالى -: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء: ٣].

وفي هذا الإطار يحدثنا الشيخ رشيد عن استعداد كل من الذكر والأنثى للنسل،

وعن دواعي مصلحة الزوجية أو الإنسانية في تعدد الزوجات، وفي هذا الصدد يأتي الشيخ بأقوال موضوعية لرجال ونساء من الغرب، يقدمون العديد من الجوانب الإيجابية بخصوص تعدد الزوجات كما شرعه الإسلام.

ونختار منها ما قاله «جوستان لويون» في كتابه «حضارة العرب» أنه أثبت عدالة حكم الإسلام بالتعدد واقتضاء الضرورة الاجتماعية له، ويستشهد بموقف «جورج برناردشو» الذي جزم بأن شعوب أوروبا وأمريكا كلها ستهتدي بالإسلام قبل انقضاء قرن.

*** وحول سيرة النبيﷺ في معاشرة نسائه:-**

إذا كان الرسول الكريم هو القدوة والمثل لكل مسلم ومسلمة، فقد طبق عليه السلام كل تداعيات هذه القدوة وتلك القيم، فكان المثل الكامل والأسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرته أزواجه بالمعروف، والقسمة بينهن بالعدل في كل من المبيت والنفقة واللطف والتكريم، وفي احتمال غضبهن وغيرتهن، وتنازعهن بالأناة، والرفق والموعظة الحسنة، وكن يجتمعن معه في بيت كل منهن، وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده، قالت عائشة: ما ضرب رسولﷺ بيده امرأة له ولا خادمًا قط، وسئلت ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة ولها أحاديث أخري مفصلة في خدمته في بيته وقيامه بحاجة نفسه، ومن وصفها له، كان ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلًا من رجالكم إلا أنه كان بسامًا.

ويحدثنا الشيخ عن غيرة أزواجه وصبره عليهن فيها، ويحدثنا عن مطالبة أزواج النبيﷺ بسعة النفقة والزينة.

وقد خير النبيﷺ أزواجه بين الدنيا والآخرة، وهذا دليل على أنه ﷺ لا يستطيع أن يقوم بوظيفة نبوية مع نساء همهن من حياتهن النعيم والزينة، ثم تحدث

عن تأديب الله لأزواج نبيهﷺ، وتعليمهن ما يراد منهن.

*** حق المرأة في الطلاق:-**

كان خصوم الإسلام من الغربيين ومقلديهم، يعدون الطلاق من أقبح مساوئ الشريعة الإسلامية، حتى اضطروا إلى تقريره، والإسراف فيه بما لا يبيحه الإسلام، وجعله حقًا مشتركًا بين الرجال والنساء.

وأما الإسلام فقد جعل الطلاق من حق الرجل وحده، لأنه أحرص على بقاء الزوجية، التي أنفق في سبيلها من المال الذى يحتاج إلى إنفاق مثله أو أكثر منه، إذا طلق وأراد عقد زواج آخر، وعليه أن يعطي المطلقة ما يؤخر عادة من المهر، ومتعة الطلاق، وأن ينفق عليها في مدة العدة، والمرأة أسرع منه غضبًا وأقل احتمالًا، وليس عليها من تبعات الطلاق ونفقاته مثل ما عليه، فهي أجدر بالمبادرة إلى حل عقدة الزوجية لأدني الأسباب، أو لما لا يعد سببًا صحيحًا إن أعطي لها هذا الحق.

وفي هذا الإطار فصل الشيخ عوائق الطلاق في الإسلام، ومراعاة حقوق النساء فيه، ومن أهم هذه الموانع والعوائق:--

- الترغيب في الصبر على ما يكره الرجال من النساء، كما في قوله – تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ١٩].

- تأديب المرأة الناشز بما يرجي به صلاحًا.

- بعث حكم من أهله وحكم من أهلها يبذلان جهدهما في إصلاح ذات البين.

- ما ورد عن النبيﷺ من ذم الطلاق وبغض الله الترغيب عنه كقوله: «**ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق**»- وقوله: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» -

وقوله: «**أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**».

ثم تناول الشيخ ما أبطله الله – سبحانه – في كتابه كل ما كان عليه العرب من مضارة النساء في الطلاق.

وتناول الطلاق– في هذا الصدد– فيما يتعلق حوله من حيث العدد فيقول – تعالى – : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وعند الطلاق يمتع الرجل المرأة بما يليق بثروته من نقد وغيره، قال – تعالى – : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

*** آداب المرآة المسلمة وفضائلها:–**

فالأصل العام في أحكام العبادات والمعاملات في الإسلام من واجب ومندوب ومحرم ومكروه، وفي آدابه من فضيلة ورذيلة أن تكون موجهة إلى المكلفين من الرجال والمكلفات من النساء على السواء، وخص الشرع الرجال ببعض الأحكام، والنساء ببعض الأحكام، وذلك حتى يصبح كلٌّ منهما مكملًا للآخر في تناسل النوع وترقية شؤونه.

ويختتم الشيخ كتابه بذكر الأحاديث النبوية في وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما، وكذلك ذكر الأحاديث النبوية في الوصية بالبنات والأخوات.

وبعد،،، نستطيع القول بأن هذا الكتاب يعد إضافة واضحة لميدان الفكر الإسلامي المعاصر، وخاصة فيما يتعلق بالفقه الحضاري للمرأة المسلمة، واستطاع

الشيخ رشيد رضا أن يقدم منهجًا اختزاليًا يبرز من خلاله الحقوق التي كلفها الإسلام للمرأة، وفق منهج يعتمد على المصادر الشرعية من الكتاب والسنة، في وقت تزاحمت فيه كل أشكال التآمر الغربي والصهيوني من أجل تشويه الموقف الإسلامي من حقوق المرأة، ومن ثم نستطيع القول بأن هذا الكتاب يشكل إضافة حقيقية من هذا الجانب.

*****

obeikan.com